مفهوم المناظرة

كلمة (المناظرة) مصدر للفعل (ناظر) .

نقول : ناظر فلان فلانا : أى صار نظيرا له . أى مثيلا له أو مساويا له وتقول : ناظرت الشيء بالشيء ، أى جعلته مقابلا له .

ونقول : عدد هؤلاء القوم يناظر الألف ، أى : يقاربه .

ونقول : ناظر فلان فلانا فى أمر من الأمور ، أى : سابقه وباراه .

والمعنى المقصود فى الصفحات التالية لكلمة المناظرة هو المعنى الأخير فى السطور السابقة ، أى المناظرة الدالة على المسابقة أو المباراة فى مسألة من مسائل اللغة أو الأدب أو الفكر .

والمناظرة بهذا المعنى ، تعتبر مجالا خصبا تتحقق به الفوائد التالية :

١ - الوصول إلى الحقائق فى المسائل المطروحة بين المتناظرين .

٢ - الحرص على تدعيم القول بالحجة والدليل القوى .

٣ - تنبيه الذهن إلى الجوانب الخفية فى موضوع المناظرة .

٤ - إثارة الرغبة فى المزيد من المعرفة .

٥ - التدريب الذهنى واللغوى على تناول مسألة من المسائل من جميع جوانبها .

وبهذا تكون المناظرات سبيلا إلى مزيد من المعرفة ، والتدريب الفكرى ، والقدرة على الحوار.

مجال المناظرة :

تقوم المناظرة فى أمر يختلف فيه شخصان أو فريقان ، ولا تجرى فى أمر يتفق عليه الجميع ، فالاختلاف هو الأمر الداعى إلى المناظرة ، حيث يعتقد شخص من الناس عقيدة معينة ، أو يرى رؤية معينة فى مسألة من المسائل ، بينما يرى غيره رؤية أخرى ، فيسعى كل من الطرفين إلى إثبات الحق فى رأيه ، وتأكيد سلامة

فكرته . فاختلاف الآراء هو الأساس الذى تنبنى عليه المناظرات ، وبغير هذا الاختلاف لاتوجد مناظرة .

بين مَنْ ومَنْ تكون المناظرة ؟

المناظرة حوار يجرى بين الناس جميعا ، سواء أكان المتناظران عالمين أو جاهلين ، أو كان أحدهما عالما ، والآخر جاهلا ، أو كانا كبيرين أو صغيرين ؛ ذلك لأنها تدور بين الناس بخصوص شؤون الحياة جميعها . فى المدرسة ، وفى المنزل ، وفى الأسواق ، وفى الأندية ، وفى كل مكان وزمان وبين الناس جميعا حين يكون هناك أمر يختلف عليه اثنان ويحاول كل منهما أن يثبت صحة رأيه ، فهى جزء من حياة الناس ، ولاتخلو الحياة الإنسانية جميعها من المناظرات ، فالأب يناظر ابنه ، وابنته ، والزوجة تناظر زوجها ، والأم تناظر أبناءها والأستاذ يناظر تلميذه ، والعالم يناظر العالم ، والجاهل أيضا يناظر الجاهل ، وكذا جميع الناس بمختلف أعمالهم وأعمارهم ، وأحوالهم .

ما أسباب التناظر ؟

أسباب التناظر ، هى : اختلاف آراء الناس ، واختلاف أفكارهم ، واختلاف درجات الذكاء واختلاف رغباتهم .

فكل منا له ثقافته وله أفكاره .

وكل منا ينشأ فى أسرة مختلفة عن غيرها .

والناس منهم الغنى ، والفقير ، والمستقيم ، والمنحرف ، والعالم ، والجاهل ، وهذا الاختلاف هو الذى يجعل كلامنا فى تعارض مع غيره .

فأسباب التناظر هى اختلاف الناس فى أحوالهم .

ما المناظرة التى يتناولها هذا الكتاب ؟

لايتناول هذا الكتاب مسألة المناظرة فى جانب واحد من جوانب الحياة ، وأيضا لايتناولها فى كل جوانب الحياة ، لأنه إن تناولها فى جانب واحد ، فلن تستفيد شيئا، وإن تناولها فى كل جوانب الحياة فإنه لايكفى ، بل إن ألوف الكتب لاتكفى .

ولذا ، كانت الصفحات التالية هى نوع من أنواع التدريب على المناظرة فى صورتها الصحيحة ؛ فكثير من المناظرات بين الناس تجرى فى إطار من الفوضى الفكرية ، والفوضى اللغوية . حين يكون المتناظران غير مدركين لجوانب المسألة التى يتناظران فيها ، وحين يكون كل منهما عاجزا عن الدفاع عن رأيه .

وكثير من المناظرات ينتهى بمزيد من الخلاف والخصومة ، بل إن كثيرًا من المناظرات ينتهى بالخصومة والعداء ، حين يكون كل منهما مصرا على رأيه ، ولا يعنيه أن يصل إلى الرأى الصحيح .

ومن أجل هذا ، كانت غاية هذا الكتاب أن يكشف للقراء عموما ،والتلاميذ خصوصا ، أن المناظرة هى سبيل من سبل الوصول إلى الحقيقة فى أى مسألة من المسائل وأن الخلاف فى الرأى لايفسد المودة بين الناس وأن الخلاف فى الرأى ليس معناه الخصام والعداء .

ومن أجل هذا - أيضا - فإنه يأخذ القارىء إلى نوع من المناظرات التى تعتبر تدريبا ذهنيا وتدريبا لغويا على المناظرة الأدبية التى ترقى بطالب العلم إلى مدارج المناظرات الإنسانية الرفيعة ، والتى تفتح أمامه باب المناظرة المبنية على إعمال العقل ، والاعتماد على التفكير ، بعيدا عن الأهواء الخاصة ، والأغراض الشخصية .

وعلى رأس المعنيين بالتدريب على المناظرة ، هو التلميذ فى مراحله الدراسية المختلفة؛ لأنه فى مستقبله عماد المجتمع ، وهو أساس الحياة الاجتماعية البريئة من كل عيب أو نقص .

براعة المناظرة

*****

متى تحقق براعة المناظرة ؟

تتحقق براعة المناظرة ، حين يثبت أحد المتناظرين صحة رأيه بالأدلة العلمية ، والبراهين التى تثبت وجاهة الرأى وصحته ، ولا تترك مجالا لهدمها، لكن براعة التناظر فى أعلا صورها ، وأرفع أدلتها ، أن يكون الشخص الفرد قادرا على أن يدافع عن مسألة بالحجة والبرهان ،و وفى نفس الوقت يستطيع أن يهدمها بالحجة والبرهان .

وهذه قدرة لايبلغها إلا من كان بارعا فى الفهم ، متمكنا من اللغة ، مدركا للأمر من كل جوانبه السلبية والإيجابية ، واسع الثقافة .

المناظرة الشريفة

*****

يقصد بها المناظرة التى يسعى فيها طرفاها - من الناس - إلى البحث عن الحقيقة، بعيدا عن الرغبة فى تفوق أحدهما على الآخر ، وتعتبر المناظرة على هذا النحو من أرفع صور المناظرات ؛ لأن أصحابها لايقصدون بها إظهار التفوق ، بل يقصدون بها الوصول إلى الحق فى أمر من الأمور .

المناظرة الأولى

*****

حول الحرب والسلام :

تناظر شخصان ، أحدهما يرى أن الحرب أمر تفرضه طبيعة الحياة ، ويرى الآخر أن الحرب من صنع الإنسان .

فقال الأول : فى رأيى أن الحرب أمر فرضته الحياة على الإنسان ، وما أظن أن الإنسان ، يستطيع أن ينأى بنفسه عنها ، بل إن ظروف الحياة تدفعه إليها .

فقال الثانى : أخالفك فى هذا الرأى ، فالإنسان بمقدوره أن يجتنبها ، وبمقدوره أن يحيا فى سلام دائم .

الأول : لايستطيع الناس أن يزيحوا الحرب من حياتهم ، إلا إن تجردوا من عوامل الصراع ، والتجرد من عوامل الصراع شىء لاتقوى عليه الطبيعة البشرية .

الثانى : ماذا تعنى بعوامل الصراع ؟

الأول : هى حب الحياة ، بما فى الحياة من حب الثروة ، والرغبة فى السيطرة ، والأثرة[1] .

الثانى : ليس من الصحيح أن الناس جميعا عند هذه العوامل ، فكثير من الناس تنتفى لديهم ، ولا تجدهم إلا زاهدين فى الثروة ، ولا تغريهم السيطرة.

الأول : انتفاء هذه العوامل عند أحد إنما يحدث بفعل التربية ، والثقافة ، ولزوم الدين ، ولولا هذا لبقى الإنسان عند طبيعته التى تدفعه إلى صراعه مع الآخرين ، بل إن المحبين لحياة المسالمة كثيرا ما يخوضون ميادين الصراع والنزاع .

(١) الأثرة : حب النفس والأنانية .

الثانى : ذلك حين يفرض عليهم أن يتصارعوا ، فإذا ما فرض القتال والنزال كان القتال ضرورة لامفر منها . وقد أشار القرآن إلى هذا بقوله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾(١) وقوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ ﴾(٢) .

الأول : إذن فالاستعداد للنزاع والمقابلة ، قائم فى النفس ، ويظهر عند الحاجة وشواهد الحياة بين الكائنات الحية جميعها تؤكد أن حياة هذه الكائنات من إنسان وحيوان - بكل أجناسه وأنواعه - قائمة فى أصلها على الحرب بين القوى والضعيف، وقائمة على أساس من حب الأثرة والغلبة والتفوق .

الثانى : إذا سلمنا بأن الصراع أمر فى تكوين الكائن الحى ، فإن عالم الإنسان يختلف عن عالم الحيوان . فالحيوان لاحظ له من العقل والوعى ، وهو غير مكلف بما كُلِّف به الإنسان ، والرسالات السماوية إنما جاءت لتنقذ الإنسان من نوازعه غير الخيرة ، وتخرجه من دائرة النفس الشريرة إلى دائرة النفس المحبة للخير ، والمسالمة جانب من جوانب الخير .

الأول : إذن فأنت توافقنى فى أن الصراع جزء أصيل فى حياة الإنسان .

الثانى : أوافقك فى أن دوافع الصراع موجودة فى طبيعة الإنسان ، لكن استسلامه لهذه الدوافع وجنوحه إلى المحاربة ، هو من فعله هو ، حيث يمتلك القدرة العقلية على الموازنة بين المحاربة وما تجره من دماء وهلاك والمسالمة وما تجنيه بها من الأمن والاطمئنان والتفرغ للحياة المنتجة .

الأول : كيف يكون استسلامه لدوافع المصارعة من فعله هو ، مع أنك تقر معى بأن هذه الدوافع موجودة فى طبيعته ؟

الثانى : نعم ، هذا الاستسلام من فعله هو ؛ لأنه يقوى على قهر نفسه ، ويستطيع أن يخلع عن نفسه هذا الاستسلام . فإذا خضع لنوازعه ، فذلك أمر منسوب إليه ، وهذا هو الفارق بين مجتمع الإنسان ومجتمع الحيوان ؛ لأن الحيوان خاضع فى سلوكه لغرائزه . أما الإنسان فهو خاضع فى سلوكه لعقله ، وقدرته على التمييز بين الخير والشر ، والحسن والقبيح .

الأول : معنى قولك أن المجتمع البشرى سوف يدوم على الحرب مادامت الحياة .

الثانى : ليس هذا حكما ثابتا ، إنما هو حكم رهين بمدى ما يرغب فيه الإنسان من حرب أو سلام ، فالحرب من صنعه ، و السلام من صنعه .

---

(١) سورة البقرة آية : ١٩٠ . (٢) سورة البقرة آية : ٢١٦ .

المناظرة الثانية

*****

التليفزيون وسيلة إعلامية لها أثرها فى حياة الناس ، وفى إحدى الجلسات الثقافية دار الجدال بين اثنين ، الأول يرى أن الناس ليسوا فى حاجة إلى هذا الجهاز لما يحمله من خطر فى تربية النشء ، والثانى يرى أنه جهاز له نفعه ولا يمكن الاستغناء عنه وجرت المناظرة على النحو التالى :

الأول : رغم ما يحمله التليفزيون من بعض الفوائد فإن ضرره أكثر من نفعه ووجود الضرر يجعلنا فى غنى عن هذه الوسيلة ، وإن حملت بعض النفع .

الثانى : إذا كان الضرر فى بعض برامج التليفزيون يدفعنا إلى الاستغناء عنه ، أفلا تكون منافعه مبررا لعدم الاستغناء عنه ؟

الأول : نعم ، لاتكون منافعه مبررا لوجوده فى حياتنا .

الثانى : إنك بهذا الحكم تفوت علينا الإفادة من البرامج الدينية والعلمية والأدبية، وتضيع على ربات البيوت ما ينفعهن فى شؤون البيت ، وغيرهذا كثير من المنافع فى وجوه عديدة من وجوه الحياة .

الأول : إذا كنت تحتج لوجوده بهذه المنافع ، فأنا أحتج لإلغائه بما يأتى به من أضرار ، بما يعرضه من مشاهد فى الأعمال التمثيلية ، تخدش حياء الأسر المحافظة، وبما يثيره لدى الشباب من الميول غير البناءة ، كالميل إلى تقليد المغنيين الذين أفسدوا فن الغناء ، وأيضا بما يعرضه من الأفلام التى تكشف عن غرائز الإجرام ، وغرائز الفساد الخلقى .

الثانى : إذا كنت تقصد بإلغاء التليفزيون من حياتنا ، أن يكون الإلغاء وسيلة من وسائل التربية ، فأنت لم تأت بالنصيحة الصحيحة فى مجال التربية .

الأول : كيف ؟

الثانى : لأن منافذ الفساد بين الشباب وغيرهم ليست وقفا على التليفزيون وإذا تصورنا أن التليفزيون وحده مسؤول عن الفساد الأخلاقى ، فهل يؤدى حذفه من حياتنا إلى إصلاح الشباب ؟

الأول : بإلغاء التليفزيون ، نسد بابا من أشد الأبواب خطرا . ولا تقل إننا نفيد منه ما تعرضه البرامج التثقيفية ، فالمكتبات مليئة بمختلف الموضوعات والمدارس والجامعات ورجال الوعظ فى المساجد ، كل هذا مناهل عظيمة يفيد منها المجتمع كل ما يرجوه الناس من النفع .

الثانى : لقد نسيت أمرا ، بل نسيت أمورا ، منها : أن البرامج التليفزيونية تشمل كثيرا من وجوه الإصلاح التى لاتتمكن المدارس منها ، وأن أفراد المجتمع ليسوا جميعهم تلاميذ على مقاعد الدراسة ، وأن التليفزيون يعين الجاهل والجاهلة على كثير من فهم جوانب الحياة ، وأنه - كغيره من وسائل الإعلام - يجعلنا على صلة بأحداث الحياة .

الأول : وما قولك فيما يراه الناس على الشاشة من مناظر هى المفسدة والضر ، لأبنائنا وبناتنا ؟

الثانى : إنك لاتحاورنى فى كيفية علاج هذا الجانب ، ولكنك تحاورنى فى أمر الاستغناء عن التليفزيون كلية . وهذان أمران مختلفان .

الأول : كلاهما مرتبط بالآخر ، فإزاحة التليفزيون يرفع عن الأسرة هذا الخطر ، وأذكرك بالقاعدة التى تقول :«درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ».

الثانى : هذه القاعدة لاتتناسب مع ما نتكلم فيه ، فمعنى هذه القاعدة التى تحتج بها هو أننا إذا كنا أمام أمرين أحدهما يجلب ضرا ، والآخر يجلب نفعا ، فإن العمل على سد باب الشر ، هو الأولى بعنايتنا ، قبل أن نشغل أنفسنا بما يجلبه الأمر الثانى من المصلحة .

الأول : وهذا ينطبق على موضوعنا .

الثانى : ليس هذا بصحيح ؛ لأن المفسدة والمصلحة يتعلقان فى وقت واحد بأمر واحد أو بشىء واحد . فإذا كان درء المفسدة بإلغاء التليفزيون ، فقد ضعيت الفائدة أيضا ، وكان أولى أن نتحاور فى أمر علاج الوجه المرفوض فى برامج التليفزيون بدلا من الدعوة إلى الاستغناء عنه .

الأول : علاج هذا الوجه المرفوض ، لانملكه أنا وأنت ، ولا يستطيعه أفراد المجتمع ؛ لأننا جميعنا نستقبل ما يفرضه علينا واضعو البرامج التليفزيونية .

الثانى : لقد ضيقت الأمر ، حيث جعلت إصلاح التربية ، ومعالجة مسألة البرامج التليفزيونية محصورة فى إلغائه ، لوأننا اتبعنا هذه الفكرة لكان من الضرورة أن نلغى الصحف والإذاعة ، وننادى بإلغاء كثير من جوانب حياتنا كالأندية ، و الحدائق ، واستعمال وسائل النقل ، بل وإلغاء المدارس أيضا . ففى كل مرافق الحياة فى أى مجتمع تجد عوامل الصلاح وعوامل الفساد ، عند وأينما اتجهت فى حياتنا الاجتماعية والعلمية لوجدت النفع والضرر متلازمين ، وأضرب لك مثلا : هل من المعقول أن نحكم بإلغاء المدارس والجامعات ، لأن بعضا من الخريجين يستغلون العلم فى الإفساد ؟

إنه من غير المعقول أن يجرى علاج الأمور بهذا الشكل الذى لانرى به الحياة إلا من زاوية ضيقة .

الأول : وكيف يكون العلاج فى رأيك ؟

الثانى : علاج مثل هذا الأمر له جوانبه المختلفة ، فمن حق المواطنين أن يبدو رأيهم وأن يشيروا إلى هذا الجانب المرفوض ، وسوف يكون هناك الاستجابة والتلبية من قبل القائمين على أمر التليفزيون ؛ لأنهم لايقصدون إلا الإصلاح والتنوير وكم رأينا ما يقوم به التليفزيون من الاستفتاء حول برامجه ، والاستفتاء معناه إشراك الجمهور فيما يجب أن يكون .

ومنها أيضا أن تقوم الأسرة بتحصين أبنائهاوبناتهامما لايوافق تربية الأسرة لأبنائها وبناتها .

هذا وغيره من وجوه الإصلاح ميسور ، أما أن نقول بإلغاء التليفزيون فليس هذا بعلاج ، وليس هذا بالمنطق الصحيح فى تناول أمورنا فى الحياة .

الأول : أرانى أخطأت فى تقديرى للأمور ، فمعذرة ، وشكرا على ما وضحت .

المناظرة الثالثة

*****

فى مناظرة متخيَّلة ، سجل أحد الأدباء حوارا بين الصيف والشتاء ، كل منهما يرى أنه أكثر إسعاداً أو إفادة للناس .

قال الصيف للشتاء : أنا خير منك ؛ فالناس فى أيامى يمتعهم هواء الصباح المنعش فيستقبلون يومهم فى خفة ونشاط ،وقد تحرروا من ثقل ملابسهم .

وعندما يأتى المساء تستلذ جلودهم بنسماتى ، وتتسع أمامهم مجالات التنزه فى الحدائق ، وبين الطرق الزراعية .

فقال الشتاء : لقد أغفلت ما يعانونه فى أيامك من حرارة الجو ، وما يضيقون به من العرق الذى تنضح به جلودهم ، غفلت عن أثر حرارتك فى أدائهم للعمل . على عكس ماتراهم عليه فى أيامى حيث لاخمول ولاكسل ، بل نشاط وحيوية ، ودفء تبعث به شمسى فى النهار ،ودفء يستمتعون به فى جلسات المساء .

الصيف : ولماذا تجاهلت ما تؤذيهم به من أوحال أمطارك حين تغرق الطرقات بالمياه ، فلا يستطيعون سيرا إلا بما يضمن لهم عدم انزلاق أقدامهم فضلا عما يقاسونه من بلل الثياب فتفسد ملابسهم ، وتغزوهم لسعات البرد بما يصيب أجسادهم .

الشتاء : لقد قصدت من أمطارى إلى أوحال الطريق ، ونسيت أنها الغيث الذى تهتز به الأرض وتربو وتنبت بهيج الزرع .

وقصدت من بردى إلى لسعاته التى تصيب الجسد ، ونسيت أنى أجيء إليهم لأحمى هذه الأجساد من ضرر حرارتك لو أنك يا أيها الصيف كنت عليهم دائما .

الصيف : إنك تأتيهم ، لتكون بالنسبة لهم عبئا ماليا يضاف إلى أعبائهم ، حيث يحتاجون إلى ملابس يغلو ثمنها ، وذلك أمر يشق على الفقير ، كما يشق عليه أن يحتمى من زمهريرك داخل بيته .

الشتاء : إن كنتُ أحمّل الفقير ما يشق عليه من التدفئة وغلو الملبس ، فإنك تحمله ما يشق عليه من حماية الأطعمة من إفساد حرارتك ، وتكلفه أن يجد شرابا بارداً سائغا ، فضلا عما يعانيه من أرق الليل حين يحول حرّك بينه وبين النوم.

الصيف : إنك تأخذ على حرارتى أن الناس يضيقون بها ، وغفلت عن أثرها فى إنبات الكثير من الزروع ، وغفلت عما يفيده العلماء من طاقة شمسية فمن الزروع مالا ينبت إلا فى أيامى ، وطاقة الشمس لاتبلغ مداها المفيد إلاعند وجودى - والفقير الذى تتحدث عنه يقاسى من برودة هوائك أكثر مما يعانيه من حرارة هوائى، فمن الكفاية له فى أيامى أن يفتح نوافذ بيته ، أما أنت فلا يكفيه فى أيامك أن يغلقها ، إذ يحتاج إلى دفء الأغطية ، وما هى بالشىء الميسور لديه .

الشتاء : ومن قال إنك تمتاز عنى بما ينبت فى أيامك من زرع ، فأنا نظيرك فى هذا ، فمن الزروع مالا ينبت إلا فى أيامى ؟

ومن قال إن طاقة شمسك يستفاد منها ولا يستفاد من طاقة شمسى؟ ومن قال لك إن كفاية الفقير فى لياليك ، هى فى فتح نوافذ بيته ، وقد عرف الناس منك أن فتح النوافذ فى كثير من لياليك أشد عليهم من إغلاقها !

الصيف : إن كنت تفاخرنى بنظير ما أفاخرك به ، فإنى أذكرك بما تفعله رياحك بالناس ، وما يفعله رعدك وبرقك من فزع لهم ، وبما تفعله إيامك بأنهارها ولياليها فى سكان الصحراء .

وإن نسيت فإنى أذكرك بما تكون عليه أحوال البلاد حين تغزوها حيث يسود الصمت كل الطرقات ، وحيث تخف حركة الناس عند حلول أماسيك فأنت يامفاخرى برد ، وأعاصير ، ورعد ، وبرق ، وفزع فى الليل ، حين تحول أمطارك بين الناس وتيار الكهرباء فيعمهم الظلام إلى حين يعلمه الله .

ولماذا لم تضف إلى مفاخرك أن اللصوص لاينشطون إلا مع حلولك ؟

الشتاء : ألا ترى معى أننى وأنك قد أخطأنا ؟

الصيف : كيف ؟

الشتاء : لو كان كل منا على الناس دائما لكان ذلك هو الضرَّ عينه ، ولو أن للناس فى أحدنا النفع كله لما قسم الله الأيام بينى وبينك وبين أخوينا : الربيع والخريف ، فكل منا له نفعه ، ولا نقول له ضرره ، وتلك حكمة الله فيما خلق .

المناظرة الرابعة
من مناظرات الإمام[1] أبى حنيفة النعمان
(أ)

(سرعة التصرف)

تعريف الإمام : هو (أبو حنيفة النعمان بن ثابت - ولد بالكوفة سنة ٦٩٩م وتوفى سنة ٧٦٧ م وقد كان فقيها عالما من عظماء العلماء فى عصره ، وهو أحد الأئمة الأربعة المشهورين) . وقد كان - رضى الله عنه خارق الذكاء سريع البديهة [2] حاضر الذهن فطنا ، سديد الإجابة .

وكان بينه وبين كثير من الناس مناظرات مختلفة تدل على هذا الذكاء الخارق . ومن هذه المناظرات : مايأتى :

كان أبو حنيفة بالمسجد فدخل عليه رجل اسمه الضحاك بن قيس ، وهو من الخوارخ [3] وقد عُرِفَ عنهم أنهم يقتلون من يخالف رأيهم .

اقترب الضحاك من أبى حنيفة قائلا له - تُبْ .

فقال أبو حنيفة - مِمَّ أتوب ؟

قال الضحاك - من تجويزك للتحكيم فى قضية على ومعاوية .

فقال أبو حنيفة - تقتلنى أو تناظرنى ؟

قال الضحاك - أناظرك .

قال أبو حنيفة - فإن اختلفنا فى شىء مما تناظرنا فيه ، فَمنْ بينى وبينك ؟

قال الضحاك - اجعل أنت من شئت .

فاتجه أبو حنيفة إلى رجل من أصحاب الضحاك وقال له : احكم بيننا فيما نختلف فيه إن اختلفنا .

---

(١) نقلا عن كتاب (الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان) أ . د حمزة النشرتى وآخران .
(٢) البديهة : معرفة الأمور دون حاجة إلى دليل .
(٣) الخوارج ، هم الجماعة الذين رفضوا التحكيم بين الإمام على ومعاوية ؛ لأنهم كانوا من الرافضين لخلافة معاوية ويرون أن عليا أحق بها . وما كان له أن يقبل التحكيم .

ثم قال للضحاك : أترضى بهذا حكما بينى وبينك ؟

قال الضحاك - نعم .

قال أبو حنيفة - فأنت بهذا قد جوزت التحكيم ، فلماذا تنكره على غيرك ؟

وأفحمت هذه الحجة القاطعة الضحاك ، وفضحت مسلك الخوارج ، وأظهرت فساد رأيهم الذى اصطبغت به حياة بعض المسلمين حتى اليوم بصبغة الشطط فى الأحكام ، وأباحت لهم الاعتداء على حرمات الآمنين.

(ب)

قوة الحجة وإفحام الخصوم [1]

يروى أن أبا حنيفة التقى ببعض الملاحدة الذين ينكرون وجود الله جل وعلا فقال لهم : ما تقولون فى رجل يقول لكم : إنى رأيت سفينة مشحونة مملوءة بالأمتعة والأحمال فشد ساريها فى لجة البحر أمواج متلاطمة ورياح مختلفة وهى من بين ذلك تجرى مستوية وليس فيها ملاح يجريها أو نوتى يوجهها ويقودها ، ولامتعهد يدقها أو يسوقها ، هل يجوز ذلك فى العقل ؟

فقالوا - لا ، فهذا شىء لا يقبله العقل ، ولايجيزه الوهم .

فقال أبو حنيفة - فياسبحان الله ، إذا لم يجز فى العقل وجود سفينة مستوية من غير متعهد ولا مجرٍ ، فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على أكنافها[2] من غير صانع أو حافظ أو مُحدِثٍ لها ؟

فما كان من هؤلاء الملاحدة إلا أن أقروا بالخطأ ورجعوا إلى الصواب .

(جـ)

الجواب المسكت

بلغ أبا حنيفة أن رجلا يتهم أمير المؤمنين عثمان - رضى الله عنه - بأنه يهودى فأفزعته هذه الكلمة وقرر أن يوقفه عند حده . ثم ذهب إليه فى بيته ، وقال له : جئتك خاطبا .

---

(١) المصدر السابق . (٢) أكنافها : جوانبها .

فقال الرجل : لِمَنْ ؟

قال أبو حنيفة : لابنتك ، رجل شريف فاضل ذو مال ، سخى ، حافظ للكتاب ، قائم به آناء الليل ، كثير الركوع والسجود .

ففرح الرجل وشكر أبا حنيفة وقال : فى هذا مقنع يا أبا حنيفة

فقال أبو حنيفة : لكن الرجل مع هذه الصفات فيه خصلة لم أنبهك إليها قال الرجل : ماهى ؟

قال أبو حنيفة : إنه يهودى .

ففزع الرجل وانتفض غاضبا ، وقال : يا أبا حنيفة ، تأمرنى أن أزوج ابنتى من يهودى ؟

قال أبو حنيفة : ولكن النبى صلى الله عليه وسلم زوج ابنته من يهودى ، بل زوجه من ابنتيه ، وفطن الرجل إلى ما يريده أبو حنيفة ، فقال : أستغفر الله إنى تائب إلى الله عز وجل[1] .

---

(١) تزوج عثمان من (رقية) ثم (أم كلثوم) ابنتى رسول الله ، ولذلك لقب عثمان بذى النورين .